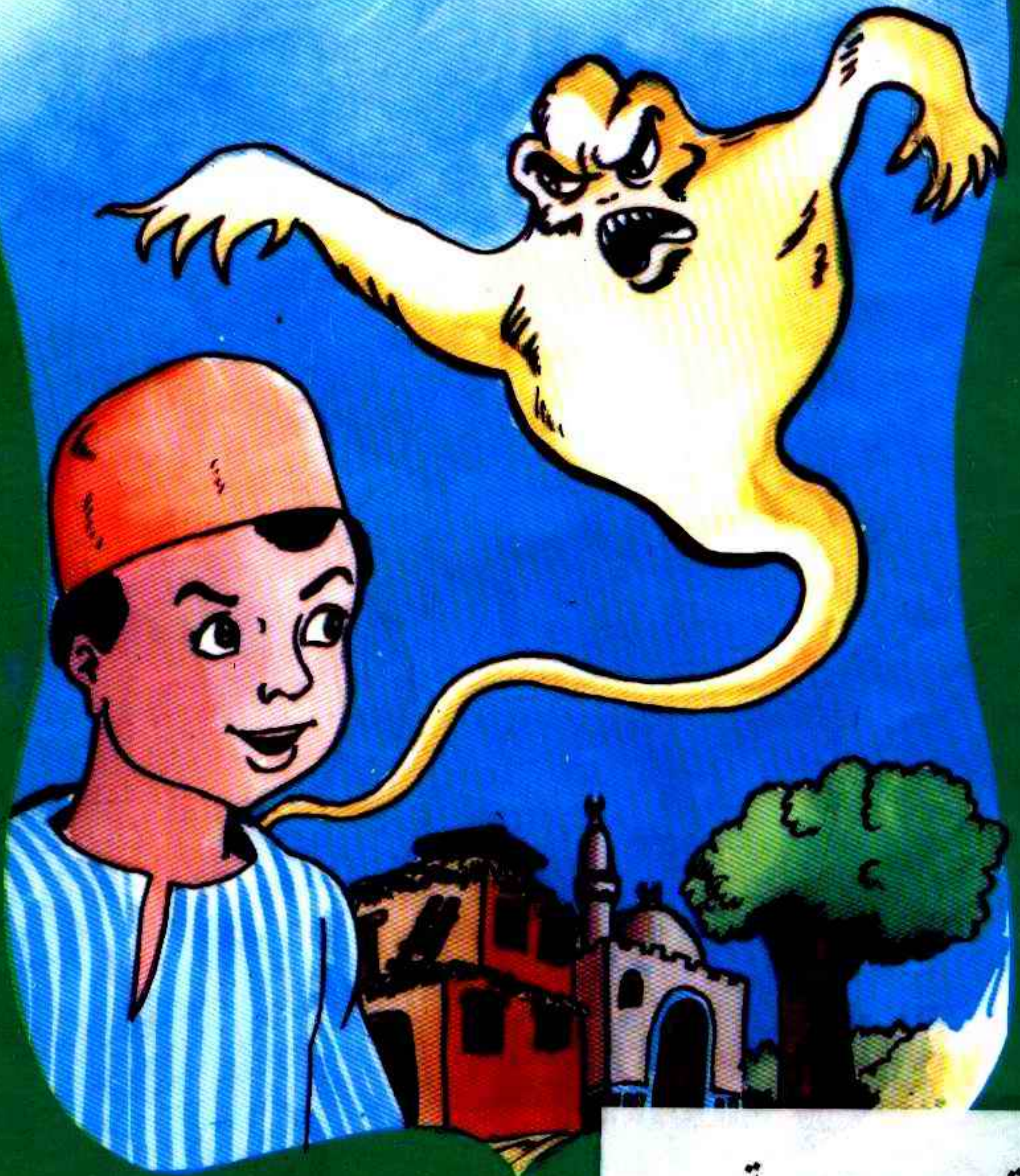


المكتبة الخضراء للأطفال

عفاريت نصف الليل



تأليف: يعقوب الشاروني

DVD 4 ARAB

قصص عربية

Arabic Stories

المكتبة المحضّراء للأطفال

٤٢

عفاريّت نصف الليل

تأليف
يعقوب الشاروني



رسوم: عبد الرحمن بكر

الطبعة الثالثة



700016071

DVD4ARAB
مكتبة مبارك العامة



"في ليلةٍ مُظلمةٍ من ليالي الشتاءِ الماضي ، وبجوار منطقةِ المقابر ، في الطريقِ القادمِ من قريةِ "الشيخ فضل" ، كان "عم صابر" النجارُ يسحبُ خلفَهُ حمارَهُ ، وقد ربطَهُ بحبلٍ أمسكَهُ بيديه ، بعدَ أن وضعَ فوقَ ظهرِهِ حملاً ثقيلاً من الخشبِ . وفجأةً سمعَ صوتَ شيءٍ صدمَ الحمارَ بعنفٍ ، مع صوتِ عظامٍ تتكسرُ.."

في تلكَ اللحظةِ ، انطلقَ خفاشٌ أسودٌ ، من بينِ فروعِ شجرةٍ جَميزٍ عتيقةٍ ، وطارَ فوقَ حلقةٍ من صبيانِ قريةِ شارونة ، وهم يجلسونَ في ضوءِ القمرِ يستمعونَ إلى مسعود ، أكبرِ الأولادِ في السنِّ والجسمِ ، يحكى لهم ما يتردَّدُ في القريةِ من حكاياتٍ ، حولَ حوادثٍ غريبةٍ تحدثُ ليلاً ، في الطريقِ الذي يصلُ ما بينَ قريةِ شارونة وقريةِ الشيخِ فضلِ المجاورةِ لها .

وارتعشَ أصغرُ الأولادِ ، وانكمشَ داخلَ جلبابه ، وهو يُصغى إلى مسعود يكملُ حكايتهُ قائلاً: "وانفلتَ الحبلُ من يدِ عمِّ صابرِ النجارِ ، فالتفتَ خلفَهُ بسرعةٍ ، ليجدَ الحمارَ قد سقطَ معَ حمليه على الأرضِ ، مثلَ قطعةِ حجرٍ ثقيلةٍ.."

ونهب الحمار في ألم شديد ، كأنه ابن آدم يصرخ ويستغيث .. وتتابع أنيئه ونهيقه .. وتلفت عم صابر حوله ، فلم ير في الظلام أحداً أو شيئاً .. فمن الذي ضرب الحمار وأوقعه بكل هذه القسوة؟! "

وبصوت خافت ، كأنه يجيب عن تساؤل مسعود ، همس أحد الأولاد قائلاً: "العفريت!!"

لكن "مسعود" لم يهتم بتلك المقاطعة ، واستمر في حكايته قائلاً: "وصاح العم صابر النجار "بسم الله الرحمن الرحيم .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" .. وعندما تأكد من ابتعاد العفريت ، انحنى ليري ما الذي حدث لحماره ، فاكتشف أن ساق الحمار قد أصابها ضربة عنيفة حطمتها .. ولم تعد للحمار فائدة بعد تلك الليلة."

هنا ارتفع صوت حسين ، وهو فتى لا يتجاوز عمره الثانية عشرة ، قائلاً: "والدي يقول: الذي يخاف من العفريت ، يصر له خوفه عشرين عفريتاً!" وكان الأولاد يعرفون أن والد حسين ، كاتب الجمعية الزراعية ، قد درس عدة سنوات بالأزهر الشريف في القاهرة ، وأنه يضحك كلما سمع مثل هذه الحكايات ، ويقول لابنه: "إياك أن تصدق كل هذه المبالغات .. إنهم ناس لا يستخدمون عقولهم ، يُفزعهم أرنب أو ثعلب."

لكن "مسعود" لم يرض عن عبارة حسين ، التي كادت تُضيّع تأثير حكاياته على الأولاد ، فاندفع يقول: "وهل تستطيع أن تُنكر ظهور الشبح ، الذي كانت قامته تقصر مرة وتطول مرة أخرى ، والذي اعترض طريق حارس ما كينة الري وزوجته ، عندما تأخرا ذات ليلة في العودة إلى شارونة ، بعد زيارة قاما بها لأقاربهما في قرية الشيخ فضل؟! لقد طاردهما الشبح وهما



يجريان بكل قوتهما ، وكاد يُلقى بهما في طين الحقول ، لولا ظهور أضواء
الفجر التي تخاف منها الأشباحُ."
وارتفع صوتُ صبيٍّ آخر يقولُ: "وكلُّنا نعرفُ حكايةَ العفريتِ الأبيضِ ،
الذي مزَّقَ ملابسَ عتريسِ العبيطِ وهو عائدٌ من الحقولِ ليلاً ، بعد أن قامَ
بالمساعدةِ في رىِّ أحدِ الحقولِ بالشَّادوفِ. ومن يومها فقدَ عتريسُ العبيطِ
هدوءَهُ ، وصارَ يضحكُ ويبكي كالمجانينِ ، ويرفضُ أن يخرجَ للعملِ في أيِّ
حقلٍ ، ليلاً أو نهاراً!!"

وحاول حسين ، ابن كاتب الجمعية ، أن يقول شيئاً آخر ، يبدد به أثر تلك القصص التي تبادل أهل القرية روايتها مرات عديدة ، حتى أصبح مجرد التفكير في المرور بعد الغروب في الطريق إلى قرية الشيخ فضل ، خاصة في الجزء المجاور للمقابر ، نوعاً من الجنون ، لا يفكر فيه معظم أهل القرية لكن "مسعود" لم يسمح لحسين أن يقول شيئاً ، إذ أسرع يقوم ومعه بقية الأولاد وهو يصيح ، كأنما يريد أن يبث مزيداً من الرعب في نفوس من هم أصغر منه سناً: "هيا إلى بيوتنا بغير إبطاء ، قبل أن يختفي القمر ، ونتخبط في العتمة ، فالعفاريت لا تحب إلا الظلام!"



وفي صباح اليوم التالي ، كانت نفس مجموعة الأولاد ، تعبر الجسر المقام فوق التربة المجاورة لمدرستهم الابتدائية ، وهم عائدون إلى القرية بعد انتهاء اليوم الدراسي . وفجأة توقف مسعود ، وقال :

"هيا نذهب لقطف البرتقال!!"

وتصيح الباقيون في صخب وحماس ، وقد فهموا معنى العبارة ، ثم استداروا ناحية حدائق "المعلم توفيق" .

لكن "حسين" ابن كاتب الجمعية الزراعية ، استمر في طريقه ، لا يهتم بصخب زملاء وصياحهم ، فصاح به مسعود :

"إلى متى تظل جباناً هكذا يا حسين؟! تعال معنا ، ولا تخش شيئاً!"

وتوقف حسين ، واستدار غاضباً ، وقال في عنف: "السرقه ليست

شجاعة!!"



لكن كلماته ضاعت بين ضحكات وسخرية زملاء، الذين صاحوا في
صخب: "الشجاع من جمع أكثر، وجرى أسرع .. تعال معنا!!"
لكنهم لم ينتظروا استجابته لهم، فقد استقر في نفوسهم أن "حسين"
أجبن من أن يشاركهم مغامرات سرقة حدائق الفاكهة!
أما حسين، فواصل السير إلى القرية وهو يمتلئ غيظًا. كان يقول لنفسه:
"كيف يعتبرون السرقة شجاعة، وفي نفس الوقت يخافون من حكايات
العفاريت الوهمية؟! كم أتمنى أن يأتي اليوم الذي أثبت لهم في كيف تكون
الشجاعة الحقيقية!!"





لكنه بالتأكيد لم يكن يعرفُ

متى سيأتي ذلك اليوم!!

* * *

في نهاية نفس ذلك اليوم ،

ارتفع من بيت الحاج سالم ،

صاحب ماكينة الري ، صراخٌ حادٌ

مُرتفعٌ: "سرقونا .. اللصوصُ

سرقونا.."

كان ذلك بعد غروب الشمسِ

بساعتين ، وقد غمر الظلامُ الكثيفُ

منازل القرية ، لا تبددُهُ إلا خيوطُ

نور ضئيلة ، تتسللُ من أبوابِ

البيوت ، وتراقصُ مع تراقصِ

شعلات المسارج ، ومصاييح "الجاز"

البترولية الخافتة الضوء ، التي لم

تكن القرى تعرفُ غيرها قبل أن

تضيء الكهرباءُ قرى مصر .

وفي لحظات ، تجمع عددُ

كبير من أهل القرية داخل وخارج

بيت الحاج سالم صاحب ماكينة

الري ، يستطلعون الخبر .

صاحت "تفيدة" زوجة



الحاج: "الأساور الذهبية ..
الخلخال الفضي ... الأقراط .. كل
الحلي الذهبية التي نملكها ..
سرقوها!!!"

وأخذت تفيدة تصرخ
وتبكي، وتقول لمن تجمعوا حولها:
"لقد غادرت البيت لزيارة جارتى
بمناسبة عودتها من الحج، بعد أن
أغلقت باب دولاب الملابس وباب
الدار الخارجي. وعندما عدت،
وجدت الباب الخارجي مغلقاً كما
تركته، لكنني وجدت باب الدولاب
مفتوحاً، والحلي الغالية قد اختفت
كلها منه."

ثم عادت تصرخ: "لا تقولوا
العفاريت .. لقد قفز اللص من فوق
أسطح البيوت المجاورة، ودخل
من الفناء الداخلي."

صاح حلاق القرية "الأسطى شلبي": شيء بارد جداً. هذه ثالث سرقة

في شهر واحد!! لو وقع اللص تحت الموسى الذي أحلق به، لكأنت نهايته!!"

وقال البقال "المقدس برسوم": "من المؤكد أن اللص من أهل

البلد.. إنه يعرف أصحاب الحلى الذهبية ، ويعرف أين يُخفونها!! لو أمسكته ،
لقطعته وبعته فى قراطيس!!"

وتبادل الواقفون نظراتِ القلقِ والحيرة ، كانتِ القريةُ تنعمُ بالأمانِ:
الأبوابُ دائماً مفتوحةً ، والنوافذُ لا يُغلقها أحدٌ. وعندما تكررتِ السرقاتُ ، مع
حكاياتِ العفاريتِ ، أغلقوا النوافذَ والأبوابَ ، لكن ها هي السرقاتُ تستمرُّ!!
قال الحاجُ سالمُ ، صاحبُ ماكينةِ الريِّ ، الذى سرقَ اللصوصُ ذهبَ
زوجتهِ:

"لن نستطيعَ النومَ فى أمانٍ بعدَ اليومِ ، إلا إذا عرفنا السارقَ وقبضنا
عليه .. هيا نُخبرِ العمدةَ."

وقبل أن يتحركَ صاحبُ ماكينةِ الريِّ ، والحلاقُ وبرسومِ البقالِ وتفيدةُ
صاحبةُ الذهبِ المسروقِ ، وبقيةُ المُتجمِّعينَ ، اندفعَ وسطهمُ حسينُ ، ابنُ
كاتبِ الجمعيةِ الزراعيةِ الذى سبقَ أن تعرفنا عليه ، وصاحَ فى لهفةٍ وانزعاجٍ:
"أين خالتى تفيدةُ؟!"

وتلقاهُ برسومِ البقالِ ، وسأله وهو يحاولُ تهدئتهُ: "ما لك يا حسينُ؟ هل
حدثَ شىءٌ فى منزلِكُم؟"
أجابَ حسينُ مُنفعلاً: "سافرَ أبى إلى مركزِ مغاغةَ ، لمراجعةِ حساباتِ
الجمعيةِ ، وسيبيتُ هناك."

ثم خفضَ صوتهُ ، وهو يقولُ بلهجةٍ تحملُ معنىً خطيراً: "والدتى
مريضةٌ جداً..."

وسمعتُهُ زوجةُ البقالِ ، فاقتربتُ منه ، وسألتُ: "والدتكُ تنتظرُ مولوداً ..
هل فاجأها الولادةُ؟"

أجابَ حسينُ في اندفاعٍ وهو خائفٌ من ضياعِ الوقتِ: "الستُ
المولدةُ تساعدُ والدتي منذُ العصرِ ، لكنها تطلبُ معونةَ خالتي تفيدهُ ، لأن
حالةَ أمِّي تسوءُ."

وأحسَّتْ زوجةُ برسومِ البقالِ بالخطرِ الذي يهددُ حياةَ والدِ حسينِ ،
فهمستُ بكلماتٍ إلى سيِّدَتَيْنِ بجوارها ، ثم قالتُ لزوجها: "سنذهبُ نحن
لنرى والدَةَ حسينِ."



وفي منزلِ والدِ حسينِ كاتبِ الجمعيةِ ، وقفتِ السيداتُ حولَ فراشِ
"أم حسينِ" ، تتطلَّعُ كلُّ منهن إلى الأخرى في حيرةٍ وقلقٍ. كانَ واضحاً من
صرخاتِ الأمِّ أن الإرهاقَ قد أنهكها ، وأنها لن تستطيعَ مواصلةَ تحمُّلِ آلامِ
الوضعِ الشديدةِ.

قالتِ المولدةُ ، التي كثيراً ما ساعدتْ نساءَ القريةِ أثناءَ حالاتِ الولادةِ:
"الحالةُ غيرُ مطمئنةٍ .. أريدُ منُ يساعدُنِي .. اذهبُ يا حسينِ .. أحضرِ
الطبيبَ."

كانتِ الوحدةُ المجمعَةُ التي بها المدرسةُ وعيادةُ الطبيبِ ومسكنُهُ ،
عندَ أطرافِ القريةِ . وكانتِ حكاياتُ العفاريتِ قد منعتِ الأطفالَ من الذهابِ
إلى الوحدةِ ليلاً ، لكن "حسينِ" خرجَ بسرعةٍ كالسهمِ ، وسطَ الظلامِ ، مُندفعاً
إلى الوحدةِ المجمعَةِ ، حيثُ توجدُ العيادةُ الطبيةُ ، وفوقها مسكنُ الطبيبِ .
كانتِ الساعةُ تقتربُ من العاشرةِ ليلاً ، ومع ذلك انطلقَ حسينُ يجرى
حتى وصلَ إلى العيادةِ ، فشهدَ نوراً يُشعُّ من خلفِ زجاجِ نافذتها ، فأحسَّ
بالراحةِ .. لا بد أن الطبيبَ موجودٌ ، ولم يذهبْ تلكَ الليلةَ إلى قريةِ الشيخِ

فضل المجاورة ، حيث يوجد بيته .
وفي عنفٍ ، قرعَ حسينَ البابَ ، فلم يُجِبْهُ أحدٌ ، وعاودَ الطرقَ بشدةٍ .
فسمعَ صوتًا يُخالِطُهُ النُّعاسُ يُقولُ : "مَنْ هُناك؟"



وعرف حسين صاحب الصوت.. إنه الممرض "عم ربيع".

قال حسين لنفسه: عم ربيع الممرض لا يحرص عادة على البقاء في العيادة، إلا إذا كان الدكتور موجوداً، فصاح: "اصعد إلى الدكتور يا عم ربيع.. والدتي مريضة جداً. إنها تلد وحالتها صعبة. لا بد أن يراها الطبيب في الحال."

وفتح الممرض باب العيادة، وأطل من فتحة الباب، وقال وهو لا يزال يقاوم النعاس:

"كل نساء البلد يلدن من غير حاجة إلى الدكتور! لماذا تحتاج والدتك أنت إلى طبيب؟!"

وخرج الممرض من الباب، ووقف أمام حسين، ثم دعك عينيه وقال: "الدكتور غير موجود. سيببت الليلة في بيته بقرية الشيخ فضل. هناك سيده أخرى تلد تحتاج إلى عنايته، ذهب إليها بسيارته قبل الغروب. يمكن لوالدتك أن تنتظر حتى الصباح.. لا تقلق."

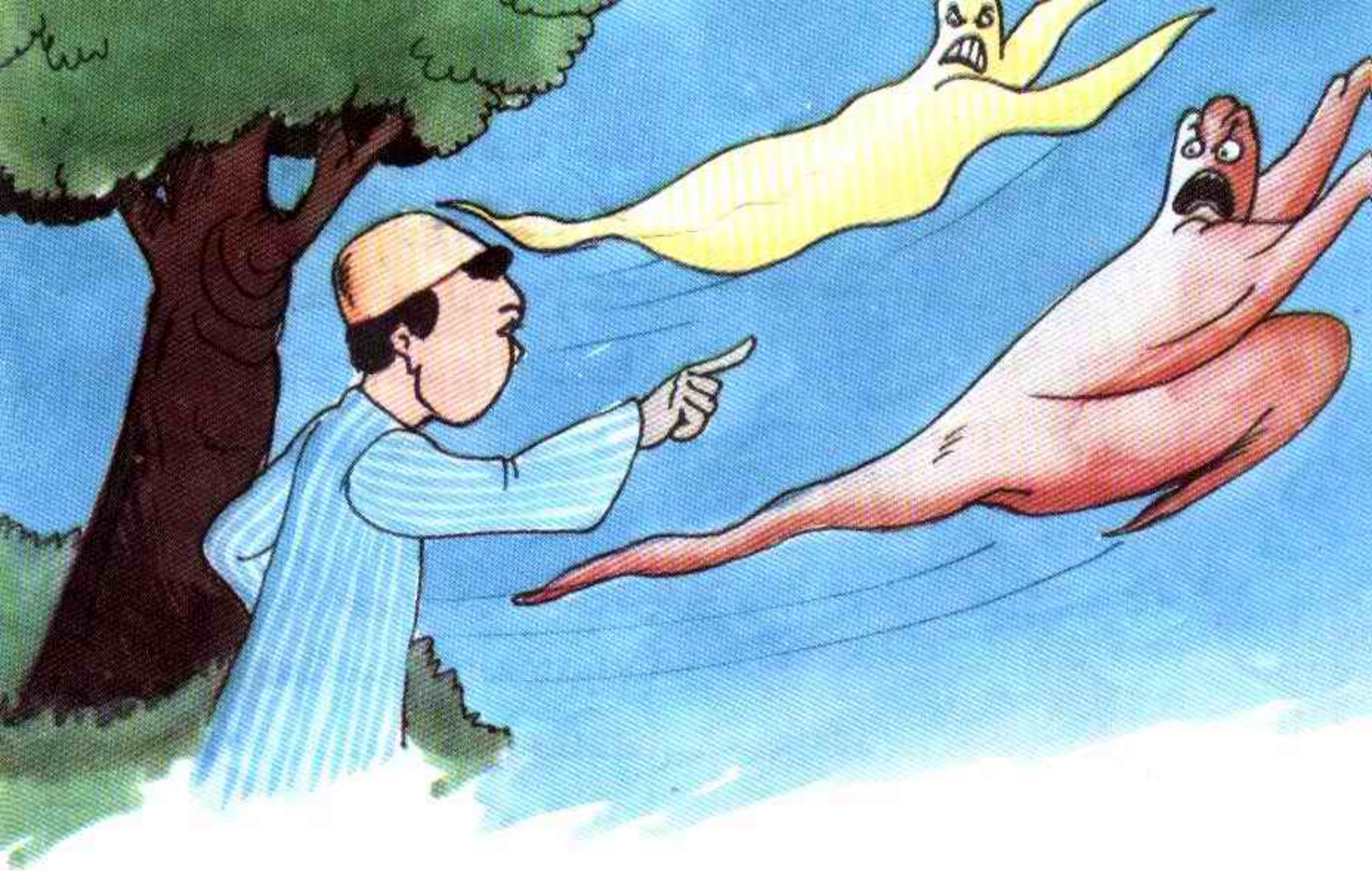
لكن "حسين" كان شديد القلق.. كان يُدرك أن حالة أمه لن تنتظر حتى الصباح، فصاح في اندفاع: "أنا خائف يا عم ربيع.. حالة والدتي خطيرة."

وغلب النعاس عم "ربيع" ثانية، فانسحب إلى داخل العيادة، وهو يقول في نفاذ صبر: "الليلة شديدة الظلمة، والطريق إلى الشيخ فضل ملآن بالمقابر والعفراريت! اذهب ونم يا ابني، ربنا يهديك.. واتركني في حالي، فالعمرُ غالٍ!!"



ووجدَ حسين نفسه وحيداً
في الظلمة خارجَ بابِ العيادةِ ،
وقد نَفَدَتْ إلى أذنيه وعقله
وأعصابه كلماتُ: "المقابر
والعفاريت!" وأحسَّ بأطرافه
ترتعشُ.

وقفَ حسين لا تتحركُ قدماه من
أمام بابِ العيادةِ .. إنه كثيراً ما
تظاهرَ بالسخرية من "حكاياتِ
العفاريت" ، هو و "وجيه" أعزُّ
أصدقائه ، وهما يرددان قولَ والدِ
حسين: "إن أسوأ العفاريتِ هو ابنُ
آدمَ."



وأخيراً استطاع حسين أن يتماسك ، وقال يشجع نفسه: "الشجاعة الحقيقية أن أذهب لإحضار الطبيب الآن من قرية الشيخ فضل ، لا أن أشارك في سرقة حدائق عمّ توفيق. وإذا ظهر لي العفريت الأبيض أو الأسود ، أتلو آية الكرسي ، فيهرب من غير لكاعة!!"

كان اتهام الأصدقاء له بالجبن يضايقه ويطاردّه ، وسيطرت عليه فكرة إثبات شجاعته ورجولته. وأخيراً همس لنفسه: "أعود أولاً إلى البيت، فقد تكون حالة والدتي قد تحسّنت."

وانتجّه بسرعة نحو البيت. وعند الباب ، كانت المولدة تقف ، والقلق يبدو واضحاً على وجهها. وما إن رأت "حسين" يقترب حتى صاحت به: "أين الدكتور؟! لماذا لم يحضر معك؟!"

وبصوت يملؤه الإحساس بخطورة الموقف ، قال حسين: "الدكتور في قرية الشيخ فضل .. سبيت هناك الليلة."

وفوجئ الفتى بالموئدة تلطمُ خدَّها بكفِّها ، وتقولُ في جزعٍ: "يا
للمصيبة!" وفي نفس اللحظة ، خرجتُ زوجةُ المقدَّسِ برسومِ البقالِ من
البيتِ ، وصاحتُ في الموئدة: "ستموتُ أمُّ حسينٍ.. لن تتحمَّلَ هذه الآلامُ
حتَّى الصباحِ!"

وزالَ تردُّدُ حسينٍ ، واشتعلَ ذهنُهُ يفكِّرُ فيما سيحتاجُهُ خلالَ ذلك
الطريقِ المظلمِ المُجاورِ للمقابرِ ، المتَّجِهِ إلى الشيخِ فضلٍ . فدخلَ الدارَ ،
وتناولَ عصاً ، ووضعَ في جيبه علبَةَ ثقابٍ ، وأوراقاً من صحيفةٍ قديمةٍ ، فقد
سمعَ أن العفاريتَ تخافُ من النورِ والنارِ .



ثم اندفعَ يجرى.

وفي الطريقِ ، تذكَّرَ حسينَ صديقَهُ "وجيه" ، الذى يكبرُهُ بعامَّينِ ، وكان يكرَّرُ هو أيضاً قولَ والدهِ شيخِ البلدِ ، إن هناكَ شيئاً غيرَ عادىٍّ فى الطريقِ الممتدِّ من قريةِ شارونةِ إلى قريةِ الشيخِ فضلٍ .. شيئاً يُسمِّيهِ أهلُ القريةِ "عفاريت" ، لكن "حتَّى العفاريتُ تخافُ من الشجعانِ !! " كما كان يؤكِّدُ والدُ وجيه.

وهمسَ حسينَ لنفسِهِ:

"لماذا لا أصحبُ معي صديقي "وجيه" ، فنواجهُ معاً ما قد يحدثُ من هذا الشئِ غيرِ العادىِّ فى الطريقِ؟"
وبسرعةٍ ، اتَّجَهَ حسينُ إلى بيتِ صديقِهِ.



ودهشَ حسينَ عندما قالتُ والدَةُ وجيهَ إنه غيرُ موجودٍ بالدارِ ، فلم يكنُ وجيهَ مُعتاداً أن يتأخَّرَ إلى ذلكَ الوقتِ من الليلِ ، لكن الأمَّ لم تلبثُ أن قالتُ: "لقد ذهبَ إلى بيتِ العمدةِ .. البلدُ كلُّها هناك."

وفي الحالِ اندفعَ حسينُ إلى دُوَّارِ العمدةِ ، فوجدَ نورَ "الكلوب" يُشعُّ من نافذةِ "المضيِّفةِ" الواسعةِ ، والعمدةُ قد جمعَ الخُفراءَ من حولهِ ، وراحَ يستمعُ ، للمرةِ الرابعةِ أو الخامسةِ ، إلى قصةِ السرقةِ التى حدثتْ فى بيتِ الحاجِّ ، صاحبِ ماكينةِ الرىِّ.

وعثرَ حسينَ على صديقِهِ "وجيه" ، يقفُ مع مجموعةٍ من الأصدقاءِ فى أحدِ أركانِ "المضيِّفةِ". فأسرعَ وأمسكَ بيدَ وجيهِ ، وسحبَهُ خارجَ المضيِّفةِ وهو يقولُ: "أريدُكَ فى أمرٍ مُهمٍّ .. أمرٍ خطيرٍ وعاجلٍ."





وخرجَ وجيه مع حسين ، يصحبُهما عددٌ من زملائِهما ، التفتَ إليهم
وجيه وقال: "ما دام الخُفراءُ لا يستطيعون أن يقوموا بواجبهم في حراسةِ
أهلنا ، فيجبُ أن نقومَ نحن بتنظيمِ الحراسةِ حول بيوتنا."

ونظرَ إليه مسعود ، أكبرُ الزُملاءِ سناً وجسماً ، وقال في سخريةٍ: "رأسك
ملآنٌ دائماً باقتراحاتٍ أكبرَ منك يا وجيه!"

ولم يتركْ حسين لوجيه وقتاً يردُّ فيه على مسعود ، الذي كان يظنُّ نفسه
شجاعاً بسببِ قيادتهِ بقيةَ الزُملاءِ في مغامراتِ سرقةِ حدائقِ الفاكهةِ، بل
أمسكَ بيدِ وجيه ، وأخذَ يجذبهُ بعيداً عن الزُملاءِ ، فصاحَ به وجيه: "لماذا
تشدُّني هكذا يا حسين؟! ماذا حدثَ لك؟!"

قالَ حسين: "لابدَ أن أذهبَ الآنَ إلى قريةِ الشيخِ فضل .. هياً معي."

والتفتَ وجيه إلى حسين ، وحملقَ في وجهه بدهشةٍ ، وصمتَ لحظةً ،
ثم قالَ في استنكارٍ: "قريةُ الشيخِ فضل؟! الآنَ؟!"

قالَ حسين: "والدتي مريضةٌ جداً .. حالتها خطيرةٌ .. لابدَ من استدعاءِ
الدكتور من هناك. لا يُمكنُ الانتظارُ حتى الصباحِ. والدي يبيتُ في مغارةٍ ،
وستتعرَّضُ حياةُ والدتي للخطرِ إذا تأخرنا."

وتردّد وجهه لحظةً ، وقد تذكّر هو أيضاً حكايات العفاريت ، لكنه لم يلبث أن التفت إلى أحد الرّملاء ، وقال له وهو يحاول أن يخفي قلقه: "اذهب وأخبر والدي أنني مع حسين. والدته مريضة ، وسنذهب معاً للبحث عن الطبيب."

وحرص ألا يذكر شيئاً عن الذهاب إلى قرية الشيخ فضل ، التي تعتقد القرية كلها ، أن العفاريت تقطع ليلاً الطريق الممتد إليها ، حتى لا يثير قلق والديه.



ترك الصديقان آخر أضواء القرية خلفهما ، وهما يمشيان فوق الطريق الترابي الضيق المتجه إلى الشيخ فضل ، وقد امتدت إلى يمينهما زراعات الذرة العالية ، وانسابت إلى يسارهما التربة التي تروى بمياهها المنطقة كلها. وحدّق الصديقان ببصرهما ، فلم يتبيّن من معالم الطريق شيئاً. كان الظلام شديداً ، فبدأ كل منهما يبطئ من خطواته ، كأنه يخشى من مواجهة المجهول في ذلك الليل الأسود.

سأل وجهه صاحبه في تردّد: "مالك؟!"



قال حسين وهو يحاول السيطرة على نفسه: "لا شيء .. أمشي ببطء
لكي لا أتعثر في حفرة ، أو في بعض مخلفات المواشي."
وأضاف بعد لحظة ، كأنما يبث الشجاعة في نفسه:
"لو عرف والدي أن والدتي ستلد الليلة ، لما ذهب إلى مغارة ، وبيننا
وبينها النيل ، ولا توجد معدية أثناء الليل. لابد أن نصل إلى الطبيب بسرعة ..
يُمكننا أن نكون في قرية الشيخ فضل خلال ساعة."
أجاب وجيه: "لن نستطيع السير بسرعة في هذا الظلام."
وصمت لحظة ، ثم أضاف: "لكن عندما نصل ، سيجيء معنا الدكتور
بسيارته."

وتعثرت قدم وجيه في مخلفات بعض المواشي ، وكاد يقع ، فتوقف ،
وقد شعر بالخوف ، وتلفت حوله ، وأضاف:
"لست أعرف كيف يستطيع الدكتور أن يسير بسيارته فوق هذا
الطريق؟! إنه طريق ضيق ، كله تراب ، والمواشي تتزاحم فيه طول النهار."
قال حسين ، وهو يشجع صديقه على مواصلة السير: "مهما يكن ببطء
سيارته فإنها أسرع من أقدامنا !! وفي الليل ، لن تزاحمها المواشي."



وأخذ الهواء يدفع أعواد الذرة الطويلة على يمين الطريق ، فتتمايل
وتصدر عن أوراقها وشوشة خافتة . كالتوشوشة ترتفع أحياناً ، فيرتجف
معها قلبا الصديقين ، ثم يغتصبان الضحك ، لخوفهما من أصوات يسمعاها
طوال النهار ، فلا تُثير شيئاً من اهتمامهما.
وفجأة صرخ وجيه ، وقفز إلى الوراء قفزة عالية!

وسأله حسين وقد فزع هو الآخر:

"ماذا حدث يا وجيه؟!"

قال وجيه:

"ضربني شيء في ساقى!"

سأل حسين في قلقٍ حقيقى:

"هل أصابك أذى؟"

وانحنى وجيه يتحسس ساقه، فلمست يده شيئاً كان يقفز بين رجليه.

وكان يفكر في حقيقة ما حدث وهو يقول: "لم يحدث شيء!"

ثم أضاف بعد لحظة:

"أظن أن ضفدعة ارتطمت بساقى .. لقد جعلتنا الحكايات نخاف من

كل شيء."



قال حسين في ارتياح:

"أفرعتني ... لقد تذكرت الساق المكسورة لحمار نجار القرية!"

قال وجهه: "وتذكرتها أنا أيضا."

قال حسين: "آه لو رأنا حمار نجار القرية .. لنهق كثيرا لكي نرجع!!"

وعاد الصديقان يضحكان ضحكا يخالطه القلق ، وواصل السير.



أخذتُ حقولُ الذرةِ تختفي ، وبدأتُ تظهرُ على جانبِ الطريقِ الأيمنِ
المنطقةُ المرتفعةُ ، التي تتجمَعُ فوقها المقابرُ . وأحسُّ الصديقانِ برهبةٍ ، وهما
يتطلَّعانِ إلى قِطْعِ الأحجارِ والعُرفِ الصغيرةِ ، التي ظهرتُ كُتلاً سوداءً مختلفةً
الأطوالِ والأحجامِ فوقِ المقابرِ ، لكن السكونَ ظلَّ مُخيِّماً.
قالَ حسينُ : "لا أخفي عليك يا وجيه أن أسنانِي تصطكُ ببعضها!!!"



أجابهُ وجيه: "لست بحاجة إلى أن تخفى عني ذلك.. إنني أستمع بالموسيقى التي تُصدرها أسنانك ، وأسنانى أيضاً!!!"

وحاولَ حسين أن يتذكرَ أغنيةً يُغنيها ، لينسى حكاياتِ العفاريتِ ، ويبددَ بها الصمتَ ورهبةَ الظلام. وقبل أن يفتحَ فمهُ بكلمةٍ ، تناهى إلى سمعِ الصبيِّين صوتُ عواءٍ!! وتوقفَ وجيه وهو يقولُ في صوتٍ تشوبهُ رنةٌ خوفٍ:
"هذا عواءٌ ذئبٍ!! لم يبقَ إلا هذا!!!"

نسىَ حسين كلَّ ما يتعلَّقُ بالأغنيةِ ، ومدَّ يدهُ ، وأمسكَ ذراعَ صديقه ، يشجَّعهُ ليواصلَ السيرَ وهو يقولُ:

"العواءُ بعيدٌ جدًّا .. بيْنَا وبينه أكثرُ من ساعة."

قالَ وجيه: "الذئابُ تأتي لتشربَ من الترعَةِ."

وفي تلكَ اللحظةِ ، ارتفعَ عواءٌ آخرُ ، كانَ أقربَ كثيرًا من العواءِ الأولِ. هنا توقفَ حسينُ أيضًا ، وأخذَ يُصغى .. وعادَ العواءُ يرتفعُ وقد ازدادَ قربًا!!

وشدَّدَ حسينُ قبضتهُ على ذراعِ وجيه ، وقد جمعَ بينهما الصمتُ.

وبغيرِ أن ينطقَ الصديقانِ حرفًا واحدًا ، أخذَا يتراجعانِ ، كأنما

تراجعهما سيُبعدهما عن الحيواناتِ الشرسةِ!!

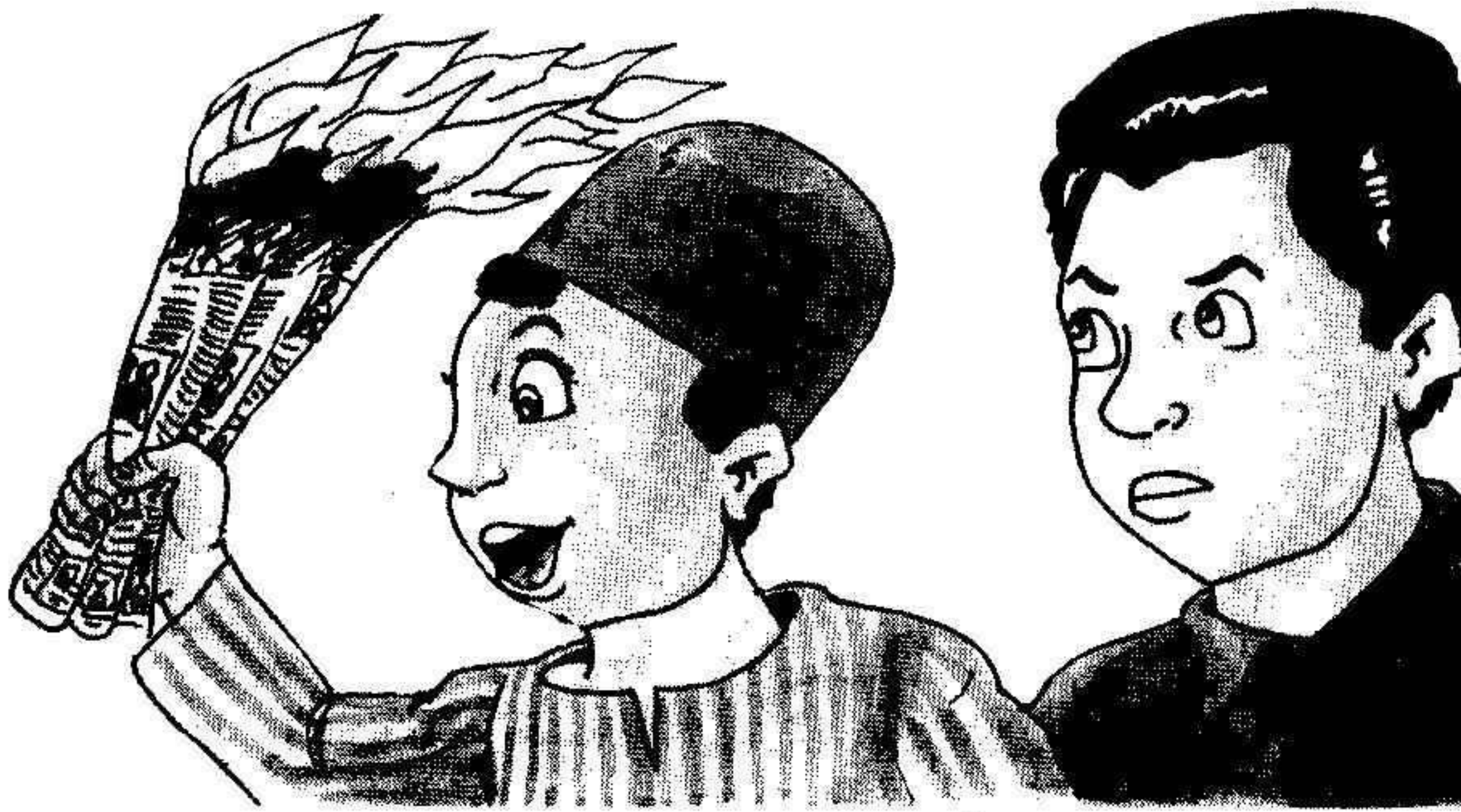
عندئذٍ تذكَّرَ حسينُ الورقَ وأعوادَ الثقابِ التي معه ، فتمالكَ نفسه .

وأخرجها من جيبه ، وطوى قطعةَ ورقٍ ، وأطبقَ يدهُ عليها حتى أصبحتْ

كالشمعةِ ، ثم أشعلها ، فأضاءت الطريقَ حولهما.

وتوقفَ عواءُ الذئابِ ، بل سمعَ الصديقانِ صوتًا كأنما الذئابُ تُسرِعُ

لتختفى بين المقابرِ المتناثرةِ.



قال حسين: "الحيوانات تخاف النار، والعفاريت أيضًا، لذلك أحضرتُ

معى الورق والكبريت."

هنا همسَ وجيه في فزع:

"لنرجع.. الذئابُ تقطعُ علينا الطريق."

لكن "حسين" لم يشارك وجيه فزعهُ، وقال مُتشكِّكًا، وقد تذكَّرَ حال

أمّه:

"غريبٌ أن تأتي الذئابُ مبكرةً هكذا. والذى يقولُ إنها لا تأتي لتشرب

إلا قُربَ الفجرِ!!"

ثم صمتَ لحظةً يفكرُ، فسأله وجيه: "لماذا سَكَتَ؟!"

قال حسين: "تذكَّرتُ أيضًا أن الذئابَ، عندما تنزلُ من الجبلِ، لا تعبرُ

الترعةَ أبدًا إلى هذا الجانبِ الأيمنِ الذى نسيرُ عليه، فكيفَ سمعنا صوتها،

كأنها تختفى من النار بين المقابر؟!"

وانطفأت الورقة المشتعلة ، فسمع حسين شيئاً آخر. وأرهف سمعه، ثم
سأل "وجيه": "هل سمعت؟!"

أجاب وجيه: "كلا.. لم أسمع شيئاً.. ماذا سمعت أنت؟!"

همس حسين: "شيئاً يشبه الضحك...!"

واندفع وجيه يقول في فزع: "الضحك؟! تقول الضحك؟! هيا نرجع.."

لنرجع قبل أن يبتل سروالي!!"

قال حسين: "لماذا تضعف فزعك بهذا الشكل؟!"

أجاب وجيه: "صوت الضبع يشبه الضحك.. هناك ضبع في طريقنا!"

وفي ثقة قال حسين: "لا.. لست أعتقد أنها ضحكة ضبع!" ثم صمت

لحظة، وأضاف بصوت هامس:

"هناك شيء غريب يحدث حولنا... أظن أن هناك شخصاً يحاول تقليد

صوت الضبع لكي نخاف!!"

فتساءل وجيه: "ما الذي يدور في خاطرك؟!"

أجاب حسين في همس خافت:

"لعل هناك من يريدنا أن نبتعد عن هذا الطريق. هيا نتظاهر بأننا

سنعود إلى شارونة."

تساءل وجيه في دهشة: "نتظاهر؟!"

ولم يرد حسين على تساؤل وجيه، بل قال في صوت مرتفع مسموع،

وفي نبرة واضحة رنانة:

"الذئب تقطع الطريق.. هيا نعود.. يجب أن نعود بسرعة إلى

شارونة."

وأمسكَ حسينَ بيدِ وجيه ، وجذبَهُ معه ، وغيرًا اتجاهاهُما ، وسارا بسرعةٍ
في طريقِ العودة.

وحاولَ وجيه أن يتكلَّم ، فأسكتهُ حسين ، إلى أن قطعَا مسافةً كبيرةً.
عندئذٍ تَوَقَّفَ حسين ، وأوقفَ صديقهُ معه.

ومالَ حسينَ على أذنِ وجيه ، وهمسَ:

"سنعودُ الآنَ ونتَّجهُ كما كُنَّا إلى قريةِ الشيخِ فضل. لكن احْرِصْ ألا

يصدرَ عنكَ أيُّ صوتٍ .. لا كلمة ، ولا همسة .. واحْرِصْ ألا تصطدمَ قدمُكَ

بأيِّ شيءٍ. وسيتكفلُ الظلامُ بأن يُخفينا تمامًا."



وحاولَ وجيه أن يستفسرَ عن معنى تصرفاتِ حسين ، لكن "حسين" أسكتَهُ وهو يقولُ: "ربما أتوهمُ أشياءً ، وربما أكونُ على حقٍّ فيما أظنُّ. حاولُ أن تنفِّذَ ما طلبتُهُ منك ، وستحقِّقُ سريعاً من النتيجة."

وفي هدوءٍ شديدٍ ، عادَ الصديقانِ يتجهانِ إلى قريةِ الشيخِ فضل ، يُخفيهما الحرصُ والخوفُ والظلامُ.

وعادا يخترقانِ منطقةَ الطريقِ المجاورةَ للمقابرِ ، من غيرِ أن يسمعا عواءَ الذئابِ مرةً أخرى ، ولا صوتَ الضحكِ الذي يحاولُ أن يقلِّدَ عواءَ الضباعِ!! وفي الصفِّ الأماميِّ من المقابرِ ، وعلى حافةِ الطريقِ ، ظهرتِ الكتلةُ السوداءُ للمبنى المقامِ فوقَ مقبرةِ "الشيخِ درويش".

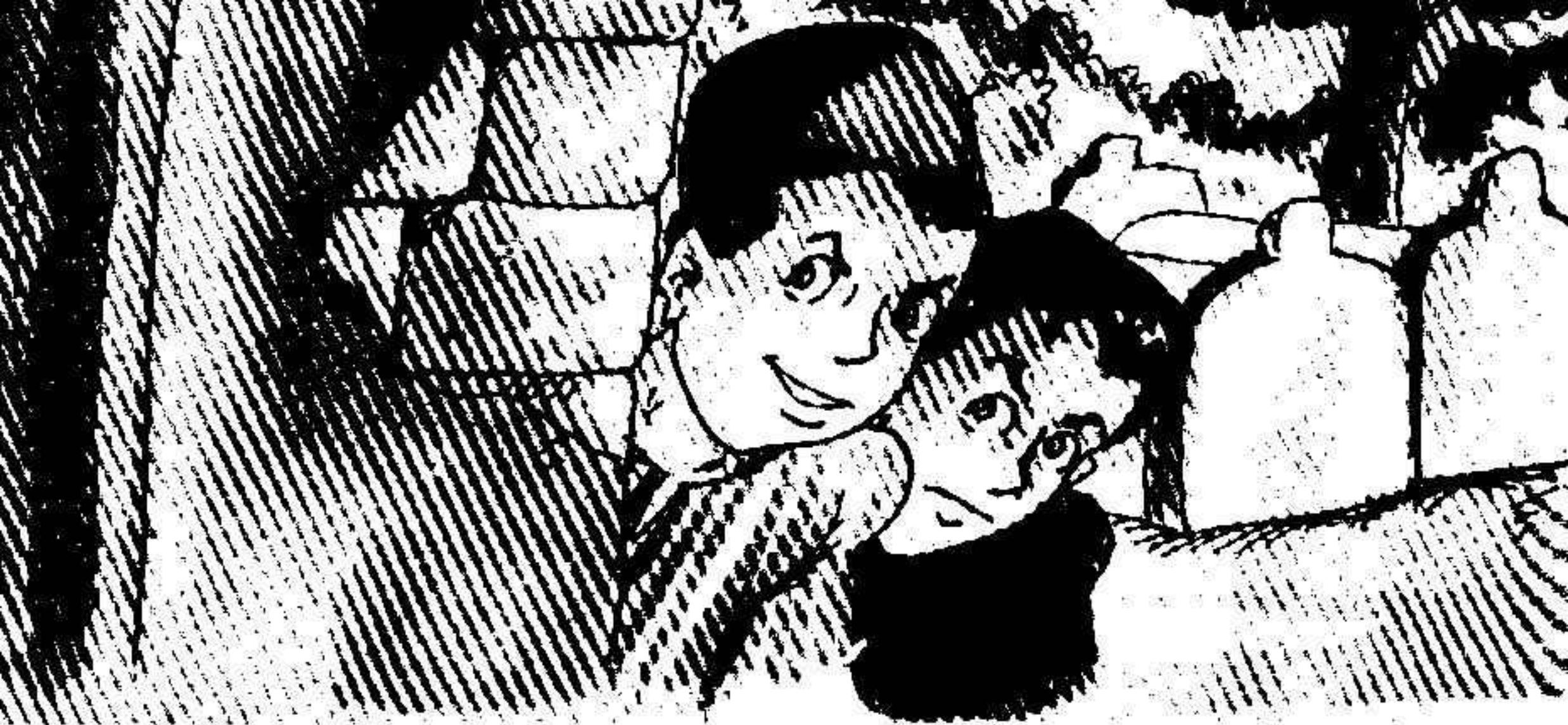
كانَ المبنى غرفةً صغيرةً ، لها بابٌ واحدٌ ، ونافذةٌ واحدةٌ مُغلقةٌ على الدوامِ.

ورغمَ الرهبةِ التي أحسَّ بها الصديقانِ وهما يتسلَّانِ بجوارِ منطقةِ المقابرِ ، التي سمعا أن "العفاريتَ" اعتادتُ أن تقابلَ أهلَ القريةِ عندها ، فقد استمرَّ في سيرِهما ، يشجَّعهما على التقدُّمِ توقُّفُ أصواتِ الذئابِ والضباعِ ، وقد حرصَ الصديقانِ ألا يصدرَ عنهما أيُّ صوتٍ.

وفجأةً أمسكَ حسينُ بذراعِ وجيه ، وأوقفَهُ عن السيرِ ، وقد جمعَ بينهما هذه المرةُ خوفٌ حقيقيُّ.

لقد سمعَ وجيه ما سمعهُ حسينُ: أصواتًا آدميةً تتحدَّثُ في همسٍ!! وشلَّ الخوفُ حركةَ الصديقينِ ، وقد تركَّزَت كلُّ حواسِّهما في آذانِهما. كانتِ الأصواتُ قادمةً من ناحيةِ الغرفةِ المقامةِ فوقَ مقبرةِ الشيخِ

درويش!!



وتحت تأثير الخوف الشديد ، ركع حسين على يديه وركبتيه ، وجذب معه "وجهه" إلى الأرض.

وبعد دقائق ، هدا خوفهما قليلاً ، فبدأ الصديقان يزحفان ، للاختباء بجوار المقبرة . وفي أسفل الجدار ، تحت نافذة غرفة المقبرة ، التصق الصديقان بالحائط ، بحيث يستحيل أن يميز إنسان شكلهما في الظلام . ووصلت الأصوات إلى سمعهما ، فحاولا متابعتها في حرص ، رغم الخوف الذي كان يمنعهما من إصدار أى صوت .

كان واضحاً أن هناك شخصين داخل غرفة المقبرة ، يتحدثان بصوتٍ مُنخفضٍ .

كان أحدهما يقول للآخر : "لقد ملأهما الخوف ، فأسرعا بالهروب ."
أجاب الآخر : "كان يجب ألا يقابلنا أحد هذه الليلة ، ونحن نحمل كل هذا الذهب ."

وضغط حسين على ذراع وجهه ، وأجابته وجهه بضغطةٍ مُشابهة : إذن فهذه هي عفاريت طريق الشيخ فضل !! هذه العفاريت التي لم تظهر إلا خلال الأسابيع الأخيرة ، مع بداية وقوع السرقات في القرية !

وتناهى إلى سمع الصديقين صوت اللصين مرة ثانية. كان الصوت الأول يقول: "لن يتصور أهل القرية، أننا يمكن أن نعود إليهم في مغامرة جديدة في نفس هذه الليلة.. سيتخلى عنهم الحذر تمامًا بقية هذا الليل". وعاد حسين يضغط على ذراع وجيه، وقد سرت في جسمه رجفة.

قال الصوت الثاني: "هل عاينت دكان البقال؟"

قال الصوت الأول: "عاينت كل شيء.. لقد سهر أهل القرية الليلة كثيرًا، وقبيل الفجر يستغرقون في نوم ثقيل، فلن ينتبه إلينا أحد. لكن يجب أن نخفي أولاً ما حصلنا عليه من ذهب، قبل أن نعود إلى القرية."

أجاب الصوت الثاني: "وهل تظنني أنتظر نصيحتك؟! لقد أخفيتهُ. إن مقبرة الشيخ درويش هذه مكان ممتاز لإخفاء كل شيء. لكن يبدو أن حصيلة الليلة قد أنستك عشاءنا."

قال الصوت الأول: "سأتسلل إلى شارونة لأسمع الأخبار، وأحضر

الطعام."

وتأهب اللص للخروج من مبنى المقبرة، فأسرع الصديقان يتكومان على الأرض، وقد التصقا تمامًا بالجدار، وأصبحا كأنهما قطعة من طين الأرض الأسود.



عندما تأكد الصديقان من ابتعاد اللص، عاد حسين يسحب ذراع صديقه "وجيه"، ويتجهان في نفس الهدوء لإكمال طريقهما إلى الشيخ فضل. وبعد أن ابتعدا مسافة كافية، همس وجيه:

"لم أتعرف عليهما من صوتهما."



قال حسين: "وكان الظلام أشد من أن يسمح لي بتبيين ملامح من خرج. لكننا لن نتركهما يسرقان دكان البقالة.. وسنعرف عندئذ من هو السارق!"

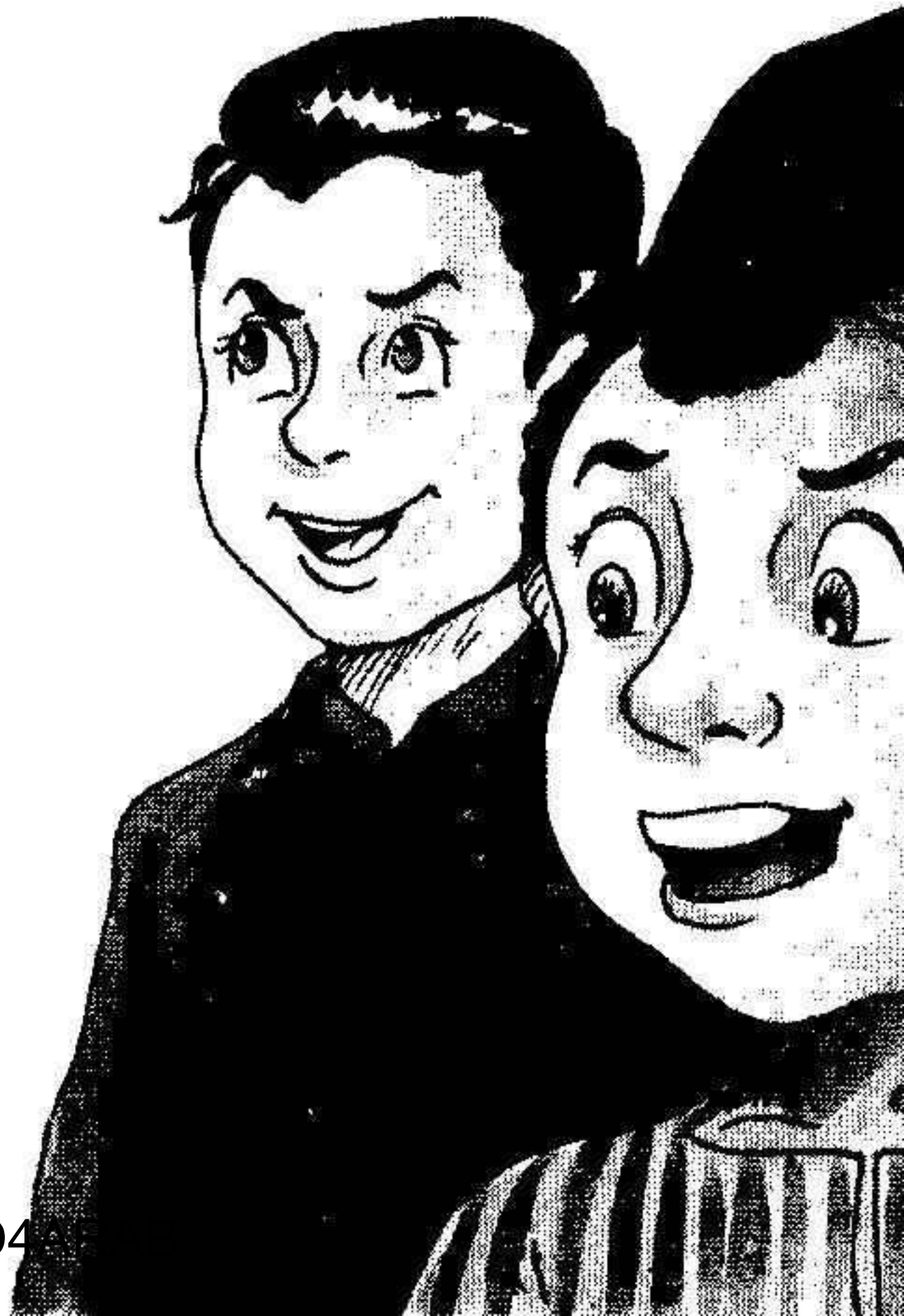
قال وجهه: "لكننا الآن في طريقنا إلى الشيخ فضل.. كيف سنمنع السرقة التي ستحدث بعد ساعات في شارونة؟"

قال حسين: "سنعود إلى قريتنا قبل الفجر بوقت طويل. لكن لا بد أن نسرع الآن إلى قرية الشيخ فضل، لإنقاذ والدتي."



وصل الصديقان إلى قرية
الشيخ فضل قبل منتصف الليل،
فوجداهما قد نامتا. وانطلقا من
طريق إلى طريق، فلم يقابلا شخصاً
واحداً يسألانه عن بيت الطبيب.
وأخيراً شاهدا باباً مفتوحاً،
يشع منه الضوء، وتبيناً أنه مخبر
القرية.

ودخل الصديقان، فوجدوا
عاملين يشتغلان في عجن الدقيق.
قال وجهه: "السلام عليكم.."



صاح أحد العاملين: "لا
يوجد خبر الآن .. بعد ساعتين .."
قال وجهه: "لقد أتينا الآن
من شارونة .. جئنا نبحث عن
بيت الدكتور زايد."

صاح العامل نفسه في
دهشة شديدة: "من.. شارونة؟!
الآن؟! وحدكما؟! حمداً لله على
سلامتكما .. خير إن شاء الله."
أجاب حسين: "والدتي



مريضةٌ جدًّا ، ولا بد أن يراها
الطبيبُ في أسرع وقتٍ ."

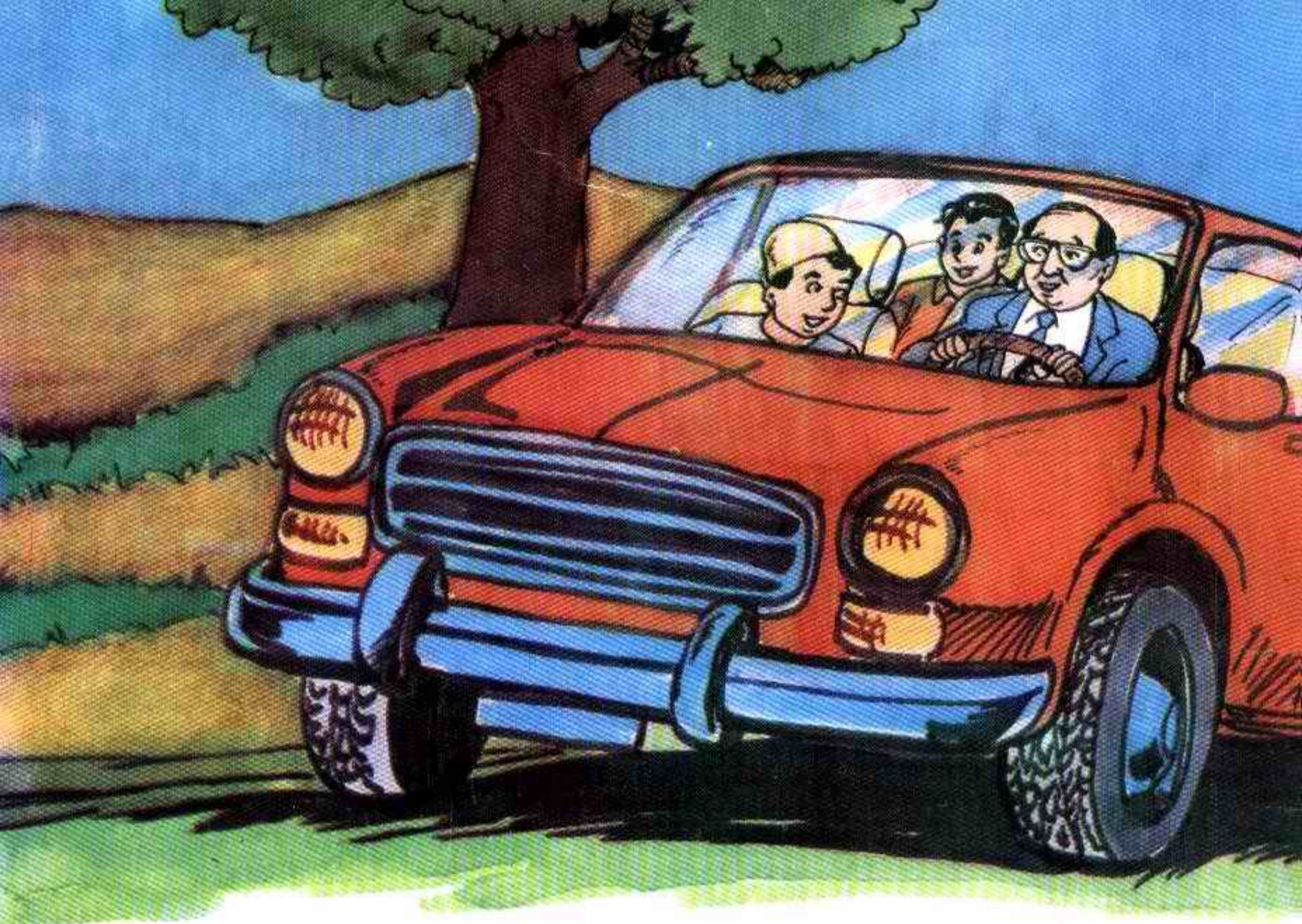
التفتَ العاملُ إلى زميله
وقال: "هل يُمكنُ أن أتركَكَ
لحظاتٍ ، لأصلَ إلى بيتِ
الدكتور؟"

أجابَ الآخرُ في ترحيبٍ:
"لو كانَ هناكَ غيرُنَا ، لذهبتُ أنا
أيضًا معكم ."

* * *

وقابلَ الثلاثةُ الطبيبَ وهو
يدخلُ بيتهُ ، بعد عودته من عمليةِ
الولادةِ ، التي اضطرَّه أن يبيتَ
تلكَ الليلةَ في قريةِ الشيخِ فضل .
وأدركَ الطبيبُ مما قاله
حسين ، مدى سوءِ حالةِ والدتهِ ،
فاستأذنَ من الصبيِّينَ لحظاتٍ ،
أخذَ خلالها ما سيحتاجُ إليه من
أدواتٍ ودواءٍ ، ثم أركبهُما سيارتهُ ،
وانطلقَ بهما في الطريقِ الضيقِ
إلى شارونة .

* * *



كانت السيارة تسيرُ ببطءٍ ، وأضواؤها الكاشفةُ تبددُ الظلامَ .
وأخيراً وصلتُ إلى شارونة .

وفي بيتِ حسين ، بدأ الطبيبُ يُجرى للأُمَّ الإسعافاتِ اللازمةَ ،
ويطمئئنها على أن كلَّ شيءٍ سيكونُ على ما يُرامُ . قالَ : "سأبقى بجانبكِ إلى
أن يزولَ الخطرُ ."

وهمسَ وجيهَ لحسين : "هيا نذهبُ نحنُ إلى بيتِ العمدةِ ."
وفي هدوءٍ تسلَّلَ الصديقانِ خلالَ دروبِ القريةِ وطرُقَها ، حتى وصلا
إلى بيتِ العمدةِ .

* * *

كانتِ الأضواءُ قد أطفئتُ في المضيئةِ ، وسادَ السكونُ البيتَ الواسعَ
الكبيرَ ، بعد أن تفرَّقَ أهلُ القريةِ ، وعادَ كلُّ واحدٍ إلى بيتهِ .

وما إن اقترب الصبيان ، حتى صاح الخفير الجالسُ أمام البيت ، وهو يهبُ واقفاً: "من هناك؟"

واقترَبَ حسين في هدوءٍ ، وقال في صوتٍ منخفضٍ: "تريدُ العمدَةَ في أمرٍ مهمٍّ."

رفع الخفيرُ صوتهُ وقال: "العمدةُ نفسُهُ؟! قل لي ماذا تريدُ من حضرةِ العمدَةِ؟"

قال حسين بصوتٍ خافتٍ: "لا نستطيعُ أن نقولَ ما عندنا إلا للعمدةِ نفسه."

قال الخفيرُ بصوتٍ مُرتفعٍ غاضبٍ: "هل هناك أسرارٌ لا يعرفها إلا أمثالكم من الصغار؟! هيا اذهب أنت وهو!"

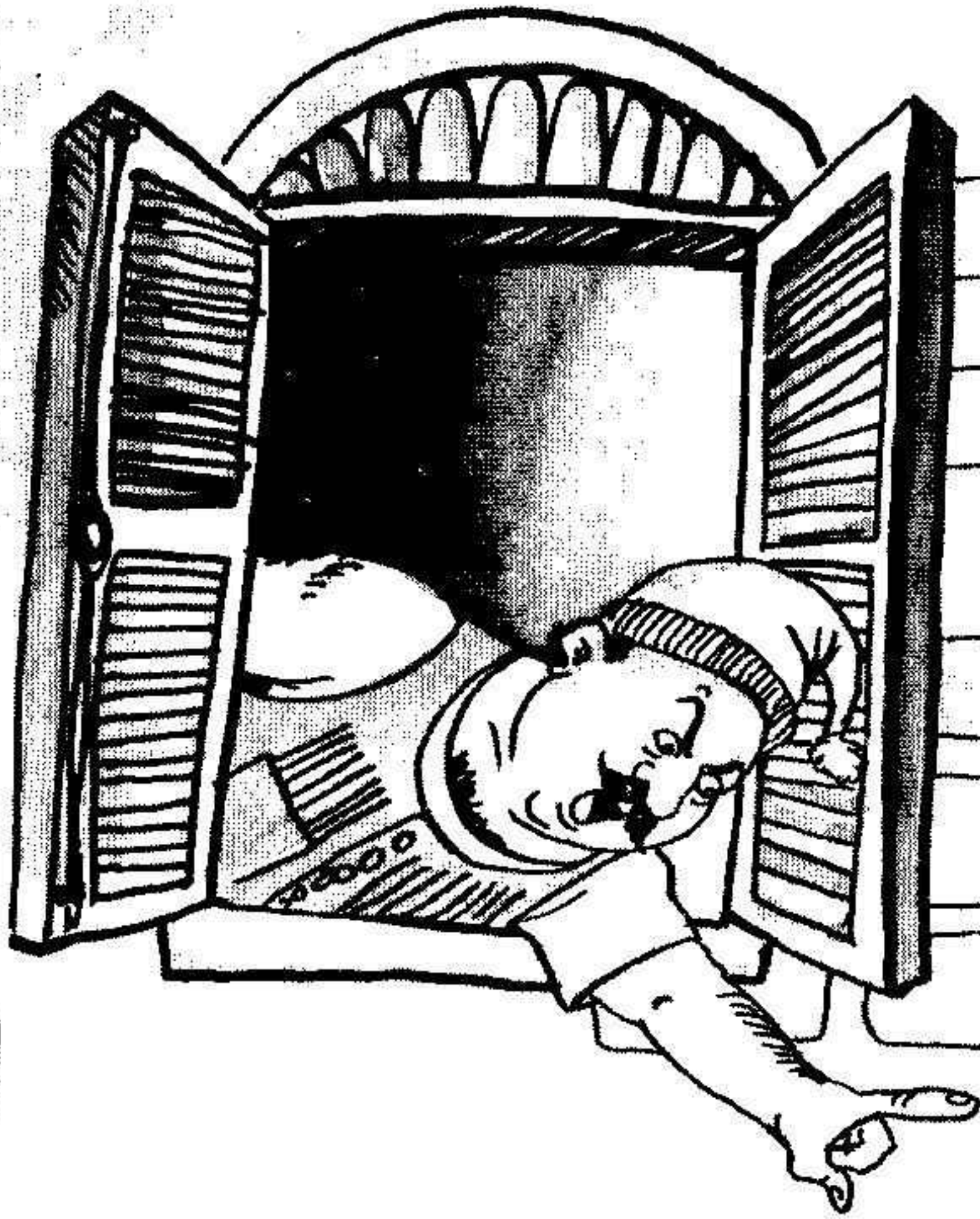
وتأهَّبَ وجهه وحسين للردِّ على الخفيرِ الجافِّ الطبعِ ، عندما ظهرَ ضوءٌ في نافذةِ "المضيِّفةِ" ، وأطلَّ العمدَةُ نفسُهُ وهو يسألُ غاضباً:

"ما هذه الضجَّةُ يا شيخَ الخفيرِ؟! لو كنتم تهتمُّون بشغلكم ، ويخافُ منكم اللصوصُ ، لما طارَ النومُ من عيني. والآن ، لماذا ارتفعَ صوتك الغليظُ في مُنتصفِ الليلِ؟"

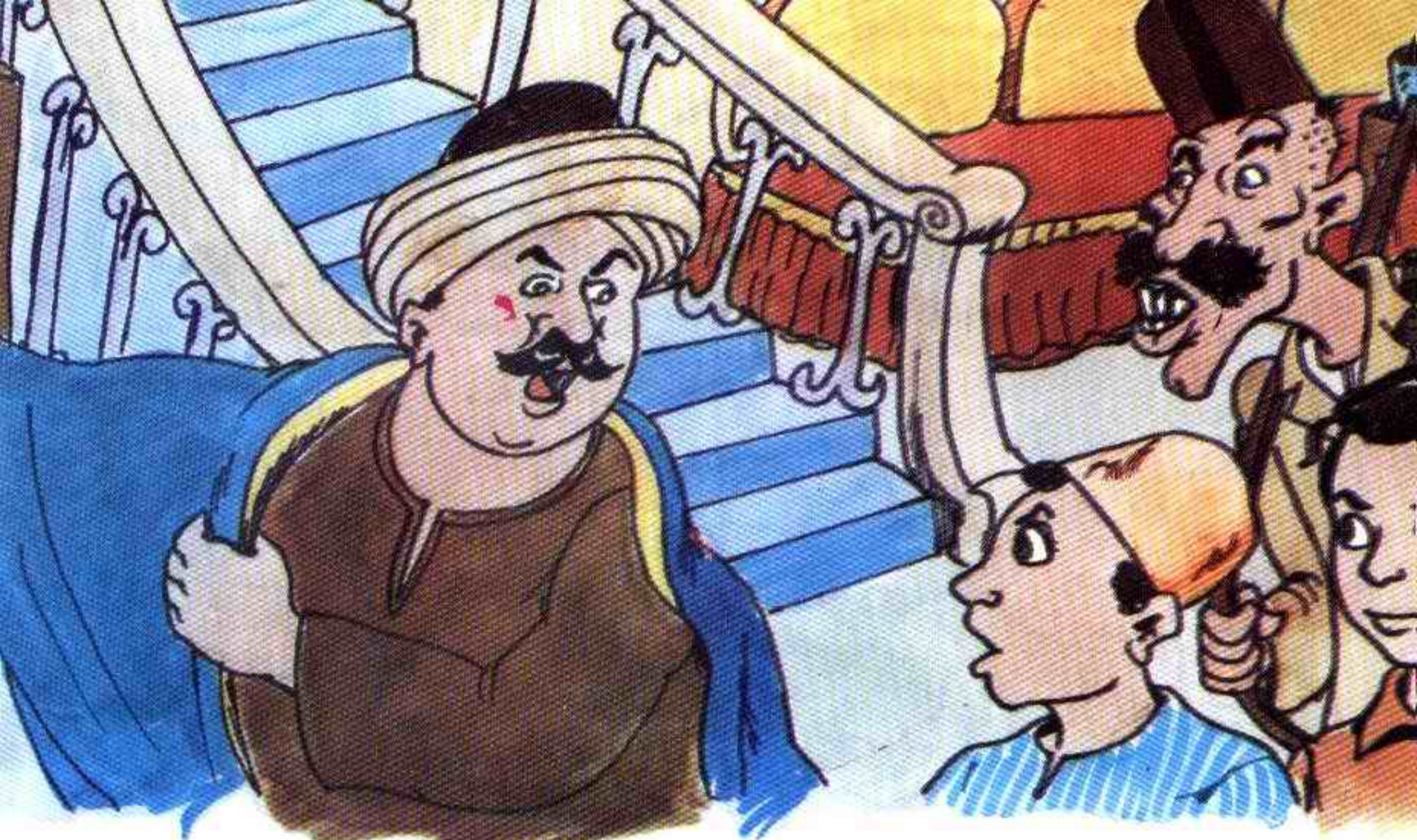
قال الخفيرُ: "هذان الطفلانِ يقولانِ إن معهما أسراراً لا بد من حكايتها لك ، فطلبتُ منهما الانصرافَ بغيرِ إزعاجٍ."

قال حسين ، وهو يحاولُ أن يخفضَ من صوتهِ: "الأمرُ مهمٌّ جداً يا حضرةِ العمدَةِ."

وأضافَ وجهه: الأمرُ مهمٌّ جداً .. لا بد أن تعرفهُ الآن يا حضرةِ العمدَةِ. ورغمَ أن العمدَةَ كان في حاجةٍ شديدةٍ إلى النومِ ، بعدَ كلِّ الضجَّةِ



DVZ ARAB



التي عانى منها بسبب سرقة الذهب والحلي، من بيت صاحب ما كينة الري،
فقد أحس أن عند الصبيين شيئاً مهماً حقاً، فقال للخفير:
"اتركهما يدخلان يا مخلوف."

هنا همس وجيه للخفير: "ألم أقل لك إن هذه أمور كبار، لا تُناقش إلا
مع حضرة العمدة شخصياً؟!!"
وما إن دخل الصبيان، حتى اقترب حسين من العمدة، وهمس في
انفعال: "عرفنا سر اللصوص!"

سأل العمدة في دهشة: "أى لصوص؟!!"
أجاب حسين: "اللصوص الذين سرقوا بيوت القرية عدة مرات."
وفتح العمدة عينيه في دهشة شديدة، وعاد يسأل: "وأى سر آخر
عندهم؟!"

أجاب حسين: "اللصان أنفسهما سيسرقان في هذه الليلة، قبل الفجر،
دكان بقالة المقدس برسوم."

هنا تنبّهت كل حواس العمدة ، وصاح في دهشة: "ومن هما؟! ومن

أخبركما بهذا؟!!"

قال حسين: "لم نعرف شخصيتهما ، لكنني سمعتهما أنا ووجيه ، وهما

يختفيان في مقبرة الشيخ درويش."

صاح العمدة في استنكار: "وما الذي ذهب بكما إلى مقبرة الشيخ

درويش في هذه الساعة من الليل!!! ألم يحدث لكما شيء؟!!"

قال حسين: "بل ذهبنا إلى الشيخ فضل ، وأحضرنا معنا الدكتور ليعالج

والدتي."

وقال ووجيه: "وإذا كنتم ستقومون بإعداد كمين من الخفراء بجوار

الدكان يا حضرة العمدة ، فلا يجب أن يُحسَّ أحدٌ بذلك ، لأن أحد اللصين

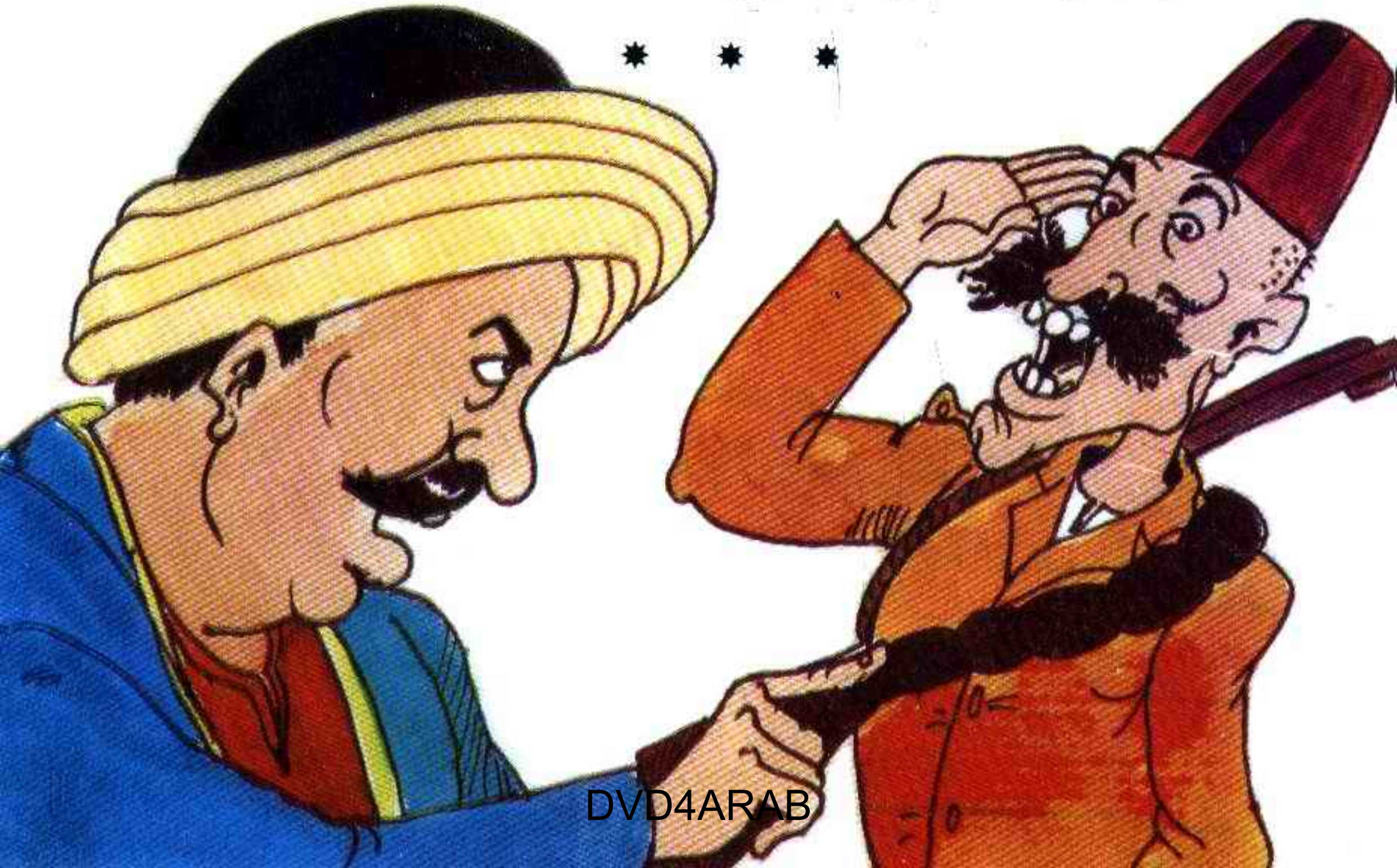
في القرية الآن ، يشتري طعامًا."

وازدادت دهشة العمدة وتعجبه: هل يصدّق حكايات هؤلاء الصغار؟

لكن تردده سرعان ما زال ، ورفع صوته يُنادي الخفير في حزم:

"يا مخلوف .. استدع ثلاثة من زملائك ، وتعالوا هنا."

* * *



واستجابة لما أشار به الصبيان ، ولكي لا يُثير العمدة انتباه اللص الذي لم يتعرف حتى الآن على شخصيته ، فإنه بدلاً من أن يُرسل أحد الخُفراء ، أرسل برسالة إلى البقال لتحذيره ، وحرص حسين ألا يراه أحد وهو يتسلل إلى بيت البقال برسوم ، الذي خصص الغرفة الأمامية من بيته لتكون دكاناً للبقالة.

ولأن الوقت كان متأخراً ، فإن باب البقالة كان مغلقاً ، لكن صاحبها كان لا يزال مُستيقظاً ، وقد انهمك في إعداد "قراطيس" من الورق ، لتعبئة الشاي والسكر ، اللذين يبيعهما في عبوات صغيرة لأهل البلدة.

وتسلل حسين حتى أبلغ الرسالة إلى البقال ، ثم انسحب بسرعة . أما الخُفراء ، فقد انطلقوا بعد قليل في طرقات القرية ، كأنهم يقومون بجولاتهم المعتادة . ثم بدعوا ، واحداً بعد الآخر ، يتسللون في هدوء ، إلى بيت البقال ودكانه . وما إن يصل أحدهم ، حتى يفتح له برسوم البقال باب بيته ، فقد كان ينتظرهم بعد أن أطفأ كل الأنوار . وصعد خفيران إلى السطح ، حيث اختبأ كل واحد منهما في هدوء خلف أحد الأوعية الضخمة العالية المصنوعة من الطين ، المستخدمة لخرن الحبوب ، والتي يسميها أهل الريف "صوامع الغلة" . وكمن خُفراء آخرون ، مُتخفين بجوار أبواب بعض البيوت .

وقبل الفجر ، لم يذهب اللصان مباشرة إلى الدكان ، بل دخلا بيتاً مهجوراً على مبعدة بضعة بيوت من بيت البقال ، ثم تسللوا بخفة من فوق أسطح البيوت ، حتى وصلا إلى سقف الدكان . ووقف أحد اللصين خلف سور السطح يراقب الطريق ، في حين بدأ الآخر يثقب سقف الدكان .

وفي الوقت الذي ظن فيه اللصان أنهما يوشكان على الفوز بغنيمة

ثمينة جديدة ، استيقظت القرية كلها على صوت طلقات الرصاص ، فأضاعت
البيوت مصابيحها ، وفتحت أبوابها.

وأدرك اللصان أن الخفراء يحاصرونهما فوق السطح ، فقفز أحدهما في
جراة شديدة إلى الطريق ، لكنه وجد نفسه يسقط وسط بقية الخفراء وبعض
رجال القرية ، الذين كانوا قد تجمعوا أمام دكان البقال.

ورغم المقاومة العنيفة التي أبدأها أحد اللصين ، فإن ضربة شديدة
على ساقه ، من عصا غليظة لأحد الخفراء ، أوقعته على الأرض.

وسرعان ما كانت الحبال تقيّد اللصين ، وقد تكاثرت عليهما أيدي

الأعداد الكبيرة من الخفراء وأهل البلد ، الذين تزاحموا حولهما.

* * *



تأمل شيخ الخفراء وجه أحد اللصين ، وقال في ثقة: "متى عدت إلى هنا يا "مدور"؟ كنا قد استرحنا من جرائمك عدة سنوات." ثم التفت إلى الثاني ، وكان أصغر سناً ، وقال له في احتقار: "وأنت أيضاً يا شمروخ؟! أنت الذي لم يظهر شاربك إلا أخيراً ، تجرى وراء لص مثل مدور!! سوف أعرفكما من هو شيخ الخفر.. أنا لا يفلت من بين يدي أي لص!!"

* * *

وفي بيت العمدة ، التف كل أهل القرية حول حسين ووجهه ، يسمعان منهما كيف تغلبا على عفاريت طريق الشيخ فضل!! وفي نفس الوقت ، كان العمدة يحقق مع اللصين ، يحاول أن يعرف منهما أين أخفيا مصوغات الحاج صاحب ماكينة الري. لكن اللصين أصراً على إنكار سرقتهما ، وأنها لا يعرفان شيئاً عنها. هنا استدعى العمدة "حسين" ، وقال له: "إنهما ينكران معرفتهما أي شيء عن مصوغات الحاج.. هل يُعقل أن تكون كل هذه الثروة قد ضاعت نهائياً؟!"

قال حسين: "سمعتهما يقولان إنهما أخفياها في مقبرة الشيخ درويش ، لكنهما لم يذكرنا مكانها بالضبط." صاح الحاج سالم ، صاحب ماكينة الري ، والذهب المسروق: "نذهب ونفتش في المقبرة."

* * *

ومع أضواء الفجر ، خرجت القرية كلها خلف حسين ، متجهة إلى مقبرة

الشيخ درويش.

وأخذ الرجال يُفتشون كل ركنٍ فيها ، لكنهم لم يعثروا على شيءٍ .
وعادوا يسألون "حسين" و "وجيه" عن حقيقة ما سمعا من اللصين .
ووقف حسين حائراً ، ثم وقع بصره على سطح غرفة المقبرة ، وطراً له



خاطرٌ ، فاندفع ، وتسَلَّقَ نافذةَ المقبرة ، وقفزَ منها إلى ما فوقَ السطح .
ولم يستغرقِ حسين وقتاً طويلاً ، قبل أن يفاجئ الجميع ، وقد وقفَ
على حافةِ سطحِ غرفةِ المقبرة ، وهو يُمسِكُ بين يديه قطعاً من الحلِيّ البراقةِ
ويصيحُ : "وجدتها .. كلُّ الذهبِ هنا .."



كانت قطع من الأحجار
الثقيلة قد استقرت فوق أحد
الأكياس الفارغة القديمة،
الملقاة على سطح المقبرة. وما
إن أزاح حسين تلك الأحجار،
حتى انكشف ما تحت الكيس،
وظهرت تحته الأساور الذهبية،
والخلخال الفضي، والأقراط،
والسلاسل الذهبية، وما بها من
جنيهاً من ذهب.

وعاد حسين يصيح:
"ذهب.. أساور وسلاسل من
ذهب، وخلخال من فضة!!
أحمدك يا رب!!"



في تلك اللحظة وصل مروان، كاتب الجمعية الزراعية ووالد حسين،
وعلامات الفخر بآبائه تملأ وجهه.

وما إن رأى "حسين"، حتى احتضنه وهو يهتف: "مبارك يا حسين..
جاء لك أخ، وجاء معه لكل البلد، الأمان والاطمئنان."

صاح حسين: "وصحة والدتي؟"

أجاب الأب، وهو يعاود احتضان ابنه بفخر:

"الحمد لله .. صحتها الآن تحسنت .. لقد جاءت لنا بولدي ، إن شاء الله

يكون في مثل شجاعتك ورجولتك."

وتلفت حسين يبحث عن مسعود ، زميله كبير السن والجسم ، فلم يره ،

فهمس لنفسه:

"لم أكن أعرف أن اليوم

الذي أثبت لهم فيه معنى

الشجاعة الحقيقية، سيأتي بمثل

هذه السرعة!"

* * *

أما مسعود ، فقد التفت إلى

بقية الزملاء وقال: "كل هذا يفعله

حسين ، الذي كنا نظنه جباناً؟!"

هنا همس له زميل آخر:

"أنت تسرق الفاكهة من الحدائق،

وهو يذهب إلى الشيخ فضل ليلاً

رغم العفاريت، ويقبض على

لصوص القرية.. كل واحد له

تخصص!!"

وارتفعت ضحكات الأولاد

ساخرة من مسعود، فألقى برتقالة

كانت في يده، وأسرع يبتعد في

ارتباك..



أنشطة حول القصة

* نقترحُ عليك أن تشترك في أحدٍ أو كلِّ الأنشطةِ

التالية:

- ١- أن تختارَ اسمًا جديدًا لهذه القصة.
- ٢- أن تختارَ أحدَ مواقفِ القصةِ، وتعيدَ كتابتهُ في شكلِ حوارٍ تمثيليٍّ، يُمكنُ أن تمثلهُ أنتِ وأصدقاؤك داخلَ الفصلِ الدراسيِّ أو في المنزلِ.
- ٣- أن تكتبِ خاتمةً أخرى من ابتكارك لهذه القصة.
- ٤- حاول أن تكتب قصة جديدة، تبين من خلالِ حوادثها وتصرفات شخصياتها، المعنى الحقيقي للشجاعة.
- ٥- اكتب قصة، سمعتها، أو شاركت في حوادثها، تبين أننا نخاف أحيانًا من أشياء نتوهمها، ولا وجود لها في الواقع.
- ٦- أن تعيدَ كتابةَ القصةِ كُلِّها من جديدٍ، أو تعيدَ كتابةَ أحدِ مواقفها، من وجهةِ نظرٍ مختلفةٍ، وبرؤيةٍ جديدةٍ، فيها ابتكارٌ وإبداعٌ.
- ٧- أن ترسمَ أحدَ مواقفِ القصةِ، ويمكنك أن ترسمَ أكثرَ من موقفٍ.

٢٠٠٤/١٧١٤

رقم الإيداع

ISBN

977-02-6555-1

الترقيم الدولي

٧/٢٠٠٣/٨٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)